قال صاحب الكشاف، وإنما عدل عن ذلك القرآن الكريم دفعا للإلباس لأنه لو قال: مكان: يا إبراهيم أعرض عن هذا: يا أيها النبى أعرض عنه هذا لا لتبس المنادى بين إبراهيم وغيره، وقد ذكر النبى - ﷺ - باسمه فى غير مواضع النداء لقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ آل عمران، ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

ثم ينتقل إلى آيات السورة الكريمة حتى يصل إلى تفسير قوله تعالى:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، هذه الآية تصف رجالاً معينين من المؤمنين، فهى ليست فى جميعهم، وإنما هى فى خلاصة منهم قال الزمخشرى: «نذر رجال من الصحابة أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله - ﷺ - ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبدالله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وحمزة، ومصعب بن عمير، وغيرهم»، - رضي الله عنهم -، وقد أخرج الترمذى وابن ماجه، والحاكم: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فلينظر إلى طلحة» وقالوا: المراد بهؤلاء الرجال غيرهم، ويلحظ المؤلف فى الإخبار عن هؤلاء الرجال بالصدق فيما عاهدوا الله عليه، بعد الإخبار عن الله ورسوله بالصدق مباشرة إشارة رامزة إلى أن الترقى فى مراشد الحق والخير يسمو بصاحبه إلى أوصاف الربوبية، حتى يكون ربانيّا يقول للشىء كن فيكون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والتنكير فى (رجال) يفيد التعظيم لهؤلاء الرجال، وأنهم رجال أى رجال، وأنهم قلة فى كل زمان ومكان وفيه رمز إلى أنهم لا يرغبون فى التعريف بأنفسهم، والتشهير بأعمالهم، فهم هؤلاء الجنود المجهولون الذين ينطلقون فى غير صخب ولا دعاية ماضية فى الخير بعزائم صارمة وأقدام راسخة، وفى ضوء هذا تنحى الآية هؤلاء الذين يفاخرون بأعمالهم وينوهون ببلائهم من دائرة الصدق، لأن تنويه المرء بأعماله وتفاخره ببلائه لا يكون إلا لكسب الحمد، والثناء فى الناس، ومن فعل ذلك فقد حبط عمله، وكذب فى دينه، لأن الصدق معناه ألا تتجه فى أى أمر من الأمور إلا لله الذى هو أعلى وأكبر من أن يكون له فى عملك شريك، وكم تعانى الحياة من هؤلاء الذين يقولون فعلنا وفعلنا وهم لا يدرون أن سمت الصادقين هو التنكير لا التعريف والبعد عن التشهير والادعاء.